بِـأَحْـسَـنَ مِـنْ لَـيْـلَـى مُـعَـيـدَةَ نَـظْـرَةٍ
إِلَـيَّ الْـتِـفـاتـاً حِـيـنَ وَلَّـتْ بِـهَـا الـسَّـفْـرُ[١]
مُـحـاذِيَـةً عَـيْـنِـي بِـدَمْـعٍ كَـأَنَّـمَـا
تَـحَـلَّـبُ مِـنْ أَشْـفَـارِهَـا دُرَرٌ غُـزْرُ[٢]
فَـلَـمْ أَرَ إِلَّا مُـقْـلَـةً لَـمْ أَكَـدْ بِـهَـا
أَشِـيـمُ رُسُـومَ الـدَّارِ مَـا فَـعَـلَ الـذِّكْـرُ[٣]
رَفَـعْـنَ بِـهَـا خُـوصَ الْـعُـيـونِ وُجـوهُـهَـا
مُـلَـفَّـعَـةٌ تُـرْبـاً وَأَعْـيُـنُـهـا خُـزْرُ[٤]
وَمَـا زِلْـتُ مَـحْـمُـودَ الـتَّـصَـبُّـرِ فـي الَّـذِي
يَـنُـوبُ وَلَـكِـنْ فـي الـهَـوَى لَـيْـسَ لـي صَـبْـرُ[٥]

٨٠
يا سلوة الأيام

[الطويل]

أَيَـا هَـجْـرَ لَـيْـلَـى قَـدْ بَـلَـغْـتَ بِـيَ الـمَـدَى
وَزِدْتَ عـلـى مـا لَـمْ يَـكُـنْ بَـلَـغَ الـهَـجْـرُ[٦]

---

(١) يُتمّ الشاعر المشهد، الظبية الأمّ متألّمة، ذكّرت الشاعر بحال ليلى يوم ظعنها مع الركب، وهي تتلفّت مودّعة حزينة باكية.

(٢) تحلّب: انهمرت دموعي. أشفارها، مفردها شفر: أصل منبت شعر الجفون. غُزر: كثيرة. وتحين متّي التفاتة، فإذا بدموعها تنهلّ كأنّها الدرّ انفرط عقده بغزارة.

(٣) أشيم: أنظر مستطلعاً. تقلصت الصورة لدى الشاعر، فاختفى كلّ شيء في نظره سوى مقلة الحبيبة تمثلت فيها رسوم الديار في ذاكرته.

(٤) خُوص العيون: غائرات العينين. مُلفّعة تُرْباً: محاطة برفيقات بمثل عمرها. خُزْر العينين: ضيّقات العينين. ليلى محاطة بأتراب لها ذوات عيون غائرة ينظرن شذراً بأطراف عيونهنّ.

(٥) ينوب: ينزل بالمرء من مصائب، يمتدح الشاعر نفسه بقوّة نفسه أمام الكوارث المفاجئة، ولكنّه أمام الحبّ يعدم الصبر وتعجزه المقاومة، فيبدو ضعيفاً.

(٦) يخاطب الشاعر هجر ليلى، وينعى عليه ما آلت إليه حاله، فقد تخطّى كلّ الحدود حتى فاق كلّ هجر.

عَـجِـبْـتُ لِـسَـعْـيِ الـدَّهْـرِ بَـيْـنِـي وَبَـيْـنَـهـا
فَـلَـمَّـا انْـقَـضَـى مـا بَـيْـنَـنـا سَـكَـنَ الـدَّهْـرُ[١]

فَـيَـا حُـبَّـهـا زِدْنِـي جَـوًى كُـلَّ لَـيْـلَـةٍ
وَيَـا سَـلْـوَةَ الأَيَّـامِ مَـوْعِـدُكِ الْـحَـشْـرُ[٢]

أَبَـى الـقَـلْـبُ إِلَّا حُـبَّـهَـا عـامـريَّـةً
لـهـا كـنـيـةٌ عَـمْـرو ولـيـس لـهـا عَـمْـرو[٣]

تَـكـادُ يَـدي تَـنْـدَى إِذا مـا لَـمَـسْـتُـهَـا
وَيَـنْـبُـتُ فـي أَطْـرافِـهَـا الْـوَرَقُ الْـخُـضْـرُ[٤]

وَوَجْـهٍ لَـهُ دِيـبَـاجَـةٌ قُـرَشِـيَّـةٌ
بِـهِ تُـكـشَـفُ الْـبَـلْـوَى وَيُـسْـتَـنْـزَلُ الْـقَـطْـرُ[٥]

وَيَـهْـتَـزُّ مِـنْ تَـحْـتِ الـثِّـيـابِ قَـوامُـهـا
كـمـا اهـتَـزَّ غُـصْـنُ الـبـانِ والـفـنـنُ الـنَّـضْـرُ[٦]

---

(١) الدهر يرسم الخُطى للبشر، ومشيئته نافذة. يستغرب الشاعر أن الدهر كان حرباً عليه يعمل على التفريق بينه وبين حبيبته حتى إذا تحقّق له ذلك ونجح في مسعاه هدأت حربه واستكان.

(٢) يطلب الشاعر من حبّه لليلى أن يزيده ألماً وعذاباً كلّ ليلة؛ فالألم عشير الشاعر على مدى الأيام وتسليته، فاللقاء سيكون في يوم الميعاد والحشر.

(٣) أنكر القلب كلّ حبّ سوى حبّها، هي عامريّة تُكنّى بأمّ عمرو ولا تزال عذراء ولم تلد ولداً ينتسب إليها.

(٤) ملامستي لها تحيي فيها الرعشة المبلّلة بالندى وتُنعش فيها قوّة الحياة، فتظلّلها الخضرة.

(٥) إنها جميلة الوجه، ذات مسحة قرشيّة أنيقة وأبيّة، يُستشفع بوجهها فتنزاح الظُّلُمات والمصائب ويُستمطر به فينهمر المطر خيراً ورواءً.

(٦) فإذا ما اسبَكّرت بدرعها اهتزّ من تحت ثوبها قوامها الممشوق الجميل كما يتحرّك غصن البان الرقيق الناعم النضر الأخضر.

فـيـا حـبّـذا الأَحـيـاءُ مـا دمـتِ فـيـهـمُ
ويـا حـبّـذا الأَمـواتُ إِنْ ضَـمَّـكِ الـقَـبْـرُ[١]
وَإِنِّـي لَـتَـعْـرونـي لِـذِكْـرَاكِ نَـفْـضَـةٌ
كَـمـا انْـتَـفَـضَ الْـعُـصْـفُـورُ بَـلَّـلَـهُ الْـقَـطْـرُ[٢]
عَـسَـى إِنْ حَـجَـجْـنَـا واعْـتَـمَـرْنَـا وَحُـرِّمَـتْ
زِيَـارَةُ لَـيْـلَـى أَنْ يَـكُـونَ لَـنَـا الأَجْـرُ[٣]
فَـمَـا هُـوَ إِلَّا أَنْ أَرَاهَـا فـجَـاءَةً
فَـأُبْـهِـتُ لَا عُـرْفٌ لَـدَيَّ وَلَا نُـكْـرُ[٤]
فَـلَـوْ أَنَّ مـا بِـي بِـالْـحَـصَـى فَـلَـقَ الْـحَـصَـى
وَبِـالـصَّـخْـرَةِ الـصَّـمَّـاءِ لَانْـصَـدَعَ الـصَّـخْـرُ[٥]
وَلَـوْ أَنَّ مـا بـي بـالْـوُحُـوشِ لَـمَـا رَعَـتْ
وَلَا سَـاغَـهَـا الـمَـاءُ الـنَّـمِـيـرُ وَلا الـزَّهْـرُ[٦]

(١) وطالما أن ليلى في عالم الأحياء بينهم بذاتها ووجدانها هذا ما يحلو للشاعر ويحبّه، وكذلك لو ضمّها قبر، فإنّه يُحبّ الأموات لأنها في زمرتهم.
(٢) فإذا ما تذكر الشاعر حبيبته انتابته رعشة حَرّكت مشاعره ووجدانه وأحاسيسه فجأة كما ينتفض عصفور بلله المطر.
(٣) يداعب الشاعر الأمل بأن تُقبل حجّته واعتمارُه، حتى لو حُرّمت عليه زيارة ليلى، وأن يحصل له ثواب حجّه واعتماره.
(٤) فإذا كان اللقاء فجأة من غير ميعاد أثناء الطواف يُصيبني الدهش فأحار جواباً فلا أعرف ما أنا فيه أم أُنكر.
(٥) إن شوقي عظيم وعذابي يُفتت الحصى لو نزل بالحصى، حتى الصخرة، الصخرة الصمّاء التي لا تعرف الإحساس، فلو نزل بها ما أشعر به لتصدّعت وتفتّتت من هول ما أعاني.
(٦) حتى الوحوش لو نزل بها من الهموم ما نزل بي، لامتنعت عن الحياة، وامتنعت عن الرعي ولما أحسّت للماء النّمير طعماً ولما لفت نظرها جمال الزهر.

وَلَـوْ أَنَّ مـا بـي بـالـبِـحَـارِ لَـمَـا جَـرَى
بِـأَمْـواجِـهَـا بَـحْـرٌ إِذَا زَخَـرَ الْـبَـحْـرُ[١]

٨١
لقاء النظر

[الطويل]

أُقَـلِّـبُ طَـرْفِـي فـي الـسَّـمـاءِ لـعـلَّـهُ
يُـوافِـقُ طَـرْفـي طَـرْفَـهـا حِـيـنَ تَـنْـظُـرُ[٢]

٨٢
نفس تذوب وتقطر

[الطويل]

أَحِـنُّ إِلـى أَرْضِ الْـحِـجَـازِ وَحَـاجَـتـي
خِـيَـامٌ بِـنَـجْـدٍ دُونَـهَـا الـطَّـرْفُ يَـقْـصُـرُ[٣]
وَمَـا نَـظَـري مِـنْ نَـحـوِ نَـجْـدٍ بِـنَـافِـعـي
أَجَـلْ، لَا، وَلَـكِـنِّـي عـلـى ذَاكَ أَنْـظُـرُ[٤]
أَفِـي كُـلِّ يَـوْمٍ عَـبْـرَةٌ ثُـمَّ نَـظْـرَةٌ
لَـعَـيْـنُـكَ يَـجْـرِي مَـاؤُهـا يَـتَـحَـدَّر[٥]

---

(١) وحتى البحار لو نزل بها ما بي من آلام وعذاب لتعطّلت لغتها فجمدت أمواجها وتجمّدت رغم أعماقها الغامرة.

(٢) حركة لا تتوقّف، ونظر لا يريم دائم التطلّع إلى السماء لعلّه يُصادف تقلّب نظرها في السماء، فيلتقي النظران ويجتمعان.

(٣) و (٤) يختزن الشاعر حنيناً إلى أرض الحجاز وبغيته خيام بنجد كثيرة لا يستطيع النظر استيعابها لكثرتها، وهو يعلم يقيناً أن تطلُّعه لا يجدي نفعاً، ولا يعود عليه بالنفع، ومع ذلك لا يتوقف عن ذلك وينظر وينظر.

(٥) لا يتوقّف دمعه كلّ يوم، يتحدّر ومع ذلك يُديم النظر إلى حيث يهوى ويعشق.